

رؤية الزمخشري للغة في أساس البلاغة

د. عليان بن محمد الحازمي

كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

مكة المكرمة

تمهيد:

السلغة أتمن وأغلى ما في الوجود ، بما استطاع الإنسان التعرف على ما في الكسوف ، فهي الوسطة بينه وبين الكائنات الأخرى. لها تفاهم مع بين جنسه ، وأقام الحضارات ، وأنشأ المبتكرات التي كانت في بدايتها فكراً تحمله اللغة ، ثم غدا علماً ينتفع به ويطبق.

وجعل اللغة تعبر عن حياة الناس ، وأداة فكر وتواصل ، لا يتأني إلا باستعمالها. والمعجم العربي منذ بداياته ، اهتم باللغة ، يراها ويتعهد مسيرتها ، يدون ويصحح ، ويستدرج ويوضح.

وأساس البلاغة يحتل مكانه مرموقة بين المعاجم العربية. فقد عد الزمخشري مؤسس المدرسة الألفبائية في المعاجم ، على الرغم من سبق أبي المعالي محمد بن تميم البرمكي بتأليف "المتهى في اللغة"⁽¹⁾. لقد بين الزمخشري هدفه في تأليف الأساس ، وهو النظر في التركيب لمعرفة الدلالات التي تنطوي عليه. اتخذ له طريقاً في العرض يتحدث أولاً عن معنى اللفظ في الحقيقة ، ثم يتبعه بعد ذلك بالجاز. وهذه الدراسة لا تتعرض للشق الثاني الجاز ، وإنما تحاول أن تتعرف على ما جاء فيما سماه الحقيقة إذ تلاحظ أنه تسجيل أمين ، ودقيق لحياة اللغة في عصره. فالزمخشري عالم كبير له قدم راسخة في

علوم اللغة؛ على الرغم مما وجه إليه من انتقادات هي أقرب ما تكون^(١٦) إلى التحامل دافعها العيرة.

لقد استوفقتني كثير من الاستعمالات والتعبيرات التي جاءت في معجم الأساس : فللفظ " برطيل تعني الحجر المستطيل" ذكر الزمخشري أنه يستعمل بمعنى الرشوة يقول " ومنه ألقسه البرطيل وهو الرشوة وأن البراطيل تنصر الأباطيل. وبرطل فلان^(١٧): رشى " إن هذه الاستعمالات وغيرها كثير ، نرى أنها محاولة جريئة من الزمخشري لجعل اللغة ربيبة الاستعمال ، وليست حبيسة تدوينات المعاجم. فاللغة تنمو بالتداول ، لذا فإن هذه الدراسة تتبع ما جاء من استعمالات لغوية وتعبيرات في أساس البلاغة محاولة إبرازها وبيانها على أنها تمثل اللغة المستعملة في عصر الزمخشري وموضحة أن المعاجم العربية لم تغفل عن إعطاء صورة دقيقة للغة كما بدت عند التصنيف.

المعجم العربي في نظر الدارسين:

ينظر بعض الدارسين إلى المعجم العربي على أنه فقط مجرد قوائم للألفاظ، بدون مبنوية تشرح وتفسر المعاني متجاهلين أهمية المعاجم في إبراز صورة اللغة واستعمالها المختلفة . ويرى آخرون ، أن مصنفى المعاجم العربية ، قد وقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ، فلم يهتموا بتدوين اللغة التي كانت جارية على ألسنة الناس في عصورهم ، وإنما حصروها في لغة الإعراب ، وقد آل هذا الموقف منهم أن جعلوا المعجم العربي معزل عن حياة اللغة. فلم يقدموا لنا صورة اللغة الحقيقية كما هي ، وإنما تصوروا حواشي التعبير الذي أصاب اللغة في عصورها المختلفة . يقول الطائفي مستغداً ابن سيده : " وقد آل على نفسه أن لا يفسح المجال إلا لفصيح اللغة وصحيحها . لا يسأخذ إلا عن الأعراب أو عن الأئمة وباب الاجتهاد والاشتقاق قد أغلق ؛ فإن كان ابن سيده أندلسياً فمؤلفه عربي إعرابي ، لا أثر للأندلس وهجتها"^(١٨) . ويقول

الذكور إبراهيم مذكور: " وأبي أصحاب المعاجم إلا أن يقفوا باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة فقدت كثيراً من معالم الحياة والتطور".

هذه الأقوال والوجهات نقدرها ونحترمها ؛ لأن دافعها الغيرة والحب للعربية ، والرغبة الملحة في دفعها إلى آفاق العالمية. لا سيما وأن اللغة العربية قادرة على استيعاب متطلبات عناصر التجديد في كل عصر مع المحافظة على أصولها. ولكن يتعين أن نعرف: ١. أن المعجم العربي منذ بداية التأليف فيه كانت له أهداف واضحة وهو ارتباطه بالقرآن الكريم فكان لا بد أن يسلك المصنفون مناهج معينة تبنى عليها معاجمهم فدوّنوا ألفاظ اللغة كما كانت تستعمل وكما سمعوا عن العرب ، ووثقوا ما فسروا ، وأبى لهم أن يزيدوا معاني جديدة لم يسمعوها. فالبواعث التي حذت بالخليل بن أحمد أن يصنف معجم العين هي كما شرحها ابن خلدون " حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فأستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلاً مع هجته المستعربين في اصطلاحهم المخالفة لصريح العربية فاحتج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الخلية في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي"^(٢) ويقول الخليل بن أحمد " فكان مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء" أنه يريد أن يخصي كلام العرب فكان لا بد أن يعتمد على التقاليد فيذكر المستعمل والمهمل.

أما ما فهمه من اللغة فقد أراد ابن خلدون أن يسهل طريقة العين وأن يبدؤوا بجمهور اللغة كما أن الخوهري وضح أنه يهدف من تأليف الصحاح أن يوضح فيه ما صح من هذه اللغة"^(٣) وأن يرثيه قريباً لم ينسئ إليه. أما الظروف التي أوجبت على ابن منظور تصنيف اللسان فهي كما بينها في مقدمة اللسان غنية العجمي حيث أصبح الناس يتفاصحوون بعرب العربية وهما يكتبون فندبت نفسه لجمع ما تفرق بتسويق الأصول

التي جاءت في المعاجم التي سبقته - كالتهذيب والمحكم والصحاح وحواشي ابن بري والنهاية في غريب الحديث - لتكون مقرونة بعضها ببعض ليحفظ أصول هذه اللغة ولتصبح كلا واحداً فيكون اللسان "بمثلة الأصل وأولئك بمثلة الفروع"^(٨).
هذه الأقوال والغايات تجعلنا نكبر ما قام به أصحاب المعاجم ولا نطالبهم بما لم يلزموا أنفسهم به.

٢. المعاجم العربية تكمل بعضها بعضاً فالباحث سيجد في الجمهرة ألفاظاً ومعاني لم يتعرض لها الخليل.

وسيجد في القاموس المحيط ما لم يرد عند الجوهري وليست الاستدراكات التي صنفاها العلماء مثل فائت الجمهرة ، وحواشي ابن بري^(٩) ، والتكملة^(١٠) للصاغاني إلا تنسيهات وبيانات وتفسيرات وتوضيحات لتكامل المعرفة وبناء أصول العلم. وبناء المعرفة لا يتأتى من هذا القبيل يقول الدكتور محمد أبو موسى " إن علماءنا الذين شاركوا في تأسيس العلوم ، كانوا يهتمون اهتماماً واضحاً ببيان الخطوات التي سلكوها في استنباط حقائق العلوم ، وكانوا يزاوجون في إعداد الجليل الذي يخلفهم بين أمرين ، الأول تعليم أصول العلم والثاني بيان كيف استخرجت هذه الأصول ، والخطوات التي سلكوها"^(١١).

٣. إن ابن دريد وغيره من علماء المعاجم كثيراً ما يذكرون بعض الألفاظ مشيرين إليها بقولهم مولدة ، أو محدثة يقول : ابن دريد " أخ كلمة تقال عند التأوه واحسبها محدثة"^(١٢) ويقول : " السلة المعروفة ليست من كلام العرب التي يجعل فيها الشيء"^(١٣) ويقول الأزهرى : " لم أسمع في شيء من كلام العرب العاربية الفوط ، ورأيت بالكوفة أزراً مخططة يشتريها الجمالون والخدم فيتزرون بها الواحدة فوطه ، قال فلا أدري أعربي أم لا"^(١٤).

٤. أن المناهج التي التزمها أصحاب المعاجم عند التدوين ، خدمت اللغة من أن يصيبها انقسام إلى لغات مختلفة ، كما حدث للغة اللاتينية التي انقسمت إلى عدة لغات تعرف بما يسمى الآن اللغات الرومانية وكما حصل للغة الجرمانية التي أصبحت عدة لغات^(١٥) ، كالإنجليزية ، والألمانية والهولندية... ومع هذا فإنك تجد المعاجم العربية دونت مستويات متعددة من اللغة المجاز ، الحقيقة ، الدخيل ، المعرب ، المولد ، النادر المستعمل ، المهمل^(١٦).

اللغة في نظر الزمخشري:

لم تكن اللغة في رأي الزمخشري حبيسة زمن معين ، تقتصر على استعمال بعينه لا تستعده. وإنما هي في سيرورة دائبة تتجدد معانيها ، وتتعدد دلالاتها ، تبعاً للزمان والمكان. فكان لابد لهذه الأداة أن تسائر حاجات الناس فتعبر عن مختلف شؤون حياتهم ، لذا يعد معجمه أساس البلاغة ، أصدق من أعطى صورة لحياة اللغة في عصره. فقد كان الزمخشري أميناً في تدوين ما كان جارياً على ألسنة المتحدثين من استعمالات وتعبيرات. فاللغة عنده متجددة ، وربية الاستعمال ، تتجدد معانيها عن طريق التداول والتواصل بين الناس. ومن ثم أجاز كثيراً من الاستعمالات التي هي في حقيقة الأمر توسع في المعاني. لقد أكد الزمخشري على إبداعية اللغة، وأنها لا تقف عند دلالة واحدة. وإنما تتعدد المعاني ، فاللفظ يكون غفلاً من المعنى وإنما يتحدد من خلال وضعه في تركيب، فهو الذي يسمو به إلى آفاق بعيدة ، ويجسد الأشياء. إن تحقيق هذه الرؤية جعلت الزمخشري يعتمد على:

١. إبداعية اللغة فمن الألفاظ المحددة تستطيع إنشاء معان جديدة وذلك بفضل طريقة " التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ؛ بسوق

الكلمات متناسقة لا مرسلّة بدداً ، ومتناظمة لا طرائق قدداً^(١٧) فالتركيب عنصر فعال في استحداث معان لم تعرف من قبل.

٢. لم يكن الرّمخشري انتقائياً عند جمع مادته اللغوية لمعجم الأساس وإنما أخذ مواده من مختلف فئات المجتمع. " ما سمع من أقوال العرب في بواديها" ما جاء به الخطباء في نواديهم ، ما قاله سمسرة قمامة في الأسواق والمجامع ما تخني به السقاة والرعاة من أرجاز وحذاء عند التزود بالماء. إضافة على ما تخيره الرّمخشري من عبارات وتعبيرات جاءت على ألسنة المبدعين^(١٨).

مستويات اللغة:

ذكرنا أن الرّمخشري بين معجم أساس البلاغة على بيان الحقيقة من الجاز ، والكناية من التصريح. ولكن مع ذلك يُعده يشير إلى المعرب ، والدخيل ويذكر ما سمعه للغة أهل مكة ، والطائف ، والسراة والقبائل مع تدوين تعبيرات وعبارات تدلنا على اهتمامه بالمستويات المختلفة للغة ؛ لأنه أراد أن يؤصل منهاجاً في التصنيف المعجمي نوضحها في:

١. تأسيس قواعد يعرف بها الكلام الفصيح والخطاب الفصل.
 ٢. معرفة الحقيقة من الجاز.
 ٣. بيان الكناية من التصريح.
 ٤. الوقوف على مناهج التركيب والتأليف.
 ٥. تربية الملكة الأدبية وصقل الموهبة حيث يضع أمام أصحاب المواهب معالم اللغة وأسرارها لأن من تلمس وعرف " ما وقع في عبارات المبدعين... وكانت له قبل ذلك كله قرينة صحيحة وسليقة سليمة ، فحل ثره ، وجزل شعره"^(١٩).
- إضافة إلى ذلك أن ما دونه الرّمخشري في معجمه يمثل اللغة التي يستعملها

ويتداولها الناس في شؤون الحياة المختلفة وليس أدل على ذلك من قوله في مادة
"بر" لا يعرف هراً من بر" وقوله نظر من صبر الباب أي من شقه وقوله يقال
للجائع صاححت عصافير بطنه^(٢١).
وقوله ضربوا الفسازات أي الفساطيط. وخرج الأمير وبين يديه الرجالة
والرجالة^(٢٢).

لغة أهل مكة وما جاورهم:

لقد أحب الريحشري مكة وأقام بها مرتين جاور بيت الله الحرام وألف فيها
مؤلفات أشهرها تفسير الكشاف. ورحل إلى كثير من بوادي مكة والمناطق المجاورة
لها كالطائف^(٢٣) فكسنت له سماعات كثيرة للغة أهل مكة ومن يفد إليها من
العرب. ذكر بعضاً منها في الكشاف يقول عند تفسيره لقوله تعالى: (ونصرناه من
القوم الذين كذبوا) وسمعت هذلياً يدعو على سارق اللهم أنصر منه أي أجعلهم
منتصرين منه^(٢٤). ويذكر "سمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حيث يعلق
الناس أبواهم ويأوون إلى مقائلهم تقول عيني نويظرة إلى الله وإيكم"^(٢٥). أما
معجم أساس البلاغة فقد حفظ لنا من لغة مكة ما يأتي:
طريت البناء : طينته.

الطنف: جدير حول السطح.

ولد الرانج: المقل جوز الهند.

لا عهدة: لا تبعة منها علي^(٢٥).

الدقة: الملح الميزر.

يوم القر: يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي.

القتاء العثري: الذي لم يسق بماء وإنما نبت من ماء المطر.

يا متوه يا مروع : من شنائمهم.
أين ربيت يا صبي: بوزن رضيت.
عكشتك : سبقتك.
أعيريني تويرتك: التويرة إناء صغير^(٢٦).
عرد البعير: انخراف وبعد.
لفلان أصيلة: أرض تليدة يعيش بها.

ويقول وقف على شيخ من أهل السراة في المسجد الحرام فقال لي: ما عضبك
وسمعتهم " أهل مكة" يقولون: السراج يطلب أن ينظفي ويغى أن يطفأ^(٢٧)
وسمعت هذلياً يقول غثت علينا مكة فلا بد من الخروج وسمعت ثقفاً وهذلياً
يتراملون أي يقولون رجزاً ، هذه السماعات تقفنا على واقع اللغة التي في معجم
الأساس ، وتؤكد ما ذهبنا إليه من أن المعجميين العرب لم يتغافلوا عن تدوين
ملامح اللغة في عصورهم.

إبداعات اللغة:

التركيب:

ذكرنا فيما سبق أن الريحشري اهتم بإبداعية اللغة ، وتحدد معانيها. وإبداعية
اللغة تأتي من أمور كثيرة^(٢٨) ، لا نريد هنا أن نناقشها ، وإنما نوضح في هذا المقام
ثلاثة أمور نرى أنها من مسببات تحدد معاني الألفاظ وهي: التركيب ، التعبيرات ،
التوسع في الاشتقاق. ولا نعي بالتركيب هنا إنشاء الجمل وإنما تركيب لفظين مثل
كبير القوم ، ابن بجدتها ، نافخ الكبير. أما التعبيرات فالأمر فيها غير ذلك فغالباً ما

يكون التعبير جملة كما في قوله تعالى: " فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها" (٣٩) ، أو ضرب كفاً بكف ، يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى.

ما صدر بأب أو أم:

احتفظ معجم أساس البلاغة بالألفاظ مركبة ، صدرت بأب أو أم أو ابن دلت على معان جديدة. والتركيب المصدر بأب أو أم أو ابن عنصر قديم في استحداث الألفاظ في اللغة العربية ، جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي كلام العرب. وقد صنف النحاة ما صدر بأب أو أم أنه يدل على كنية. قال عز وجل: (... ولتسنذر أم القري ومن حولها) وقال تعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب) (٣٠).

وجاء في الحديث الشريف أم الخبائث الخمر.

وأستعمل العرب ألفاظاً لأسماء بعض الحيوانات مثل أبو الحصين للتعلب وأم عامر للضيع وابن آوي.

وفيما يلي ندرج ما جاء من هذه الألفاظ عند الرمخشري:

| | |
|--------------|--------------------------|
| أبو الأضياف: | لمن يكرم الضيوف. |
| أبو الرؤيس: | لكبير الرأس. |
| أبو العمامة: | لكبير العمامة. |
| أبو براقش: | للمتلون (٣١). |
| أم متواك: | الدماغ. |
| أم النجوم: | الجرة. |
| أم الدماغ: | الجلدة التي تجمع الدماغ. |

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| أم حنين: | دويبة ^(٣٢) . |
| ما صدر يابن: | |
| ابن أختار: | للحذر. |
| ابن آدم: | للدلو. |
| ابن يمدتها: | للمحرب. |
| ابن البلد وأبن البليدة: | الحرياء. |
| ابن التأداء: | ابن الأمة إذا استضعف رأيه. |
| ابن جلا: | للرجل المشهور. |
| ابن ذكاء: | الصحيح. |
| ابن الرطبة: | ابن الفاجرة. |
| ابن ليلها: | صاحب الأمر الكبير. |
| ابن المسرة: | الريحان. |
| ابن طامر: | البرغوث. |
| ابن الطود: | الخلمود الصدى. |
| ابن الطيلسان: | الأعجمي ^(٣٣) . |
| ابن أقوال: | للكلامي. |
| ابن المزنة: | الهلل. |

ما صدر بينات:

| | |
|------------|-------------------|
| بنات بئس: | الدواهي. |
| بنات برح: | الشندات والأهوال. |
| بنات أخدر: | حمر الوحش. |

| | |
|-----------------------------|--|
| بنات الدو: | حمر الوحش. |
| بنات الدهر: | نوائبه. |
| بنات السحابة: | البرد. |
| بنات المسند: | النوائب. |
| بنات شجاع: | البيغال. |
| بنات الصدر: | الهموم. |
| بنات صعده: | حمر الوحش. |
| بنات سهال: | الخييل. |
| بنات طارق: | بنات الملوك. |
| بنات غير: | الأكاذيب. |
| بنات فكري ^(٣٤) : | |
| بنات الليل: | النساء. |
| بنات المثال: | النساء " المثال الفراش". |
| بنات الماء: | الغرائق. |
| بنات المعى: | البصر. |
| بنات النقا: | اليساريع " النقا الرمل ، اليساريع دوية". |

التعبيرات:

أحتوى معجم أساس البلاغة على كم كبير من التعبيرات التي نحسبها مرآة للغة العربية المستعملة في القرنين الخامس والسادس الهجريين. " ونعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها ، وضم هذه المفردات بعضها على بعض"^(٣٥). ويطلق عليها في اللغة الإنجليزية Idioms هذه التعبيرات لا تخلو

منها أي لغة من لغات البشر^(٣٦). كما أنها شاهد على واقع اللغة عبر تاريخها ، لأنها تمس جوانب حياتهم ، وفيها من التلميح ، والرمز ، ما يجعلها قابلة لتعدد المعاني. فقول الزمخشري " لا يعرف هرا من بر"^(٣٧) نرى أنها يمكن أن تفسر ب (لا يميز بين الأشياء" أو لا يعرف كيف يتعامل مع الناس. والتعبيرات التي جاءت في أساس البلاغة فسر الزمخشري بعضها ، وأغفل بعضها الآخر. وإليك بعض ما جاء من هذه التعبيرات ومعانيها.

ما جاء مفسراً:

| | |
|-----------------------------|--|
| النبطح خير من التنبطح: | التزول بمكة خير منه بخوارزم. |
| كان توأ فأصبح زوا: | أي زوجاً معه آخر ويمكن أن نفسره أصبح له أنصار ومؤيدون. |
| فلان يتوسد أذرع بنات الليل: | المنى - ويمكن أن تفسر بحلم ^(٣٨) . |
| مالك بهللاً سهلاً: | أي محلى فارغاً. |
| هم في هياط ومياط: | في اضطراب وبجيء وذهاب. |

تعبيرات لم تفسر:

فلان لا يعرف البواقيل من الشواقيل: لا يميز بين الأشياء.
فلان يستك بالحرير: مترف منعم.
هو حلّ بلّ: برئ ، لا يؤاخذ.
فلان إن رأي مطعماً تعرض وإن أصاب مطعماً تأرض: ينتهز الفرص.
على مع الحال المضيرة خير من معاوية مع المضيرة: الفقر مع من تحب خير من الغني مع من لا تحب.

ترحر فلان حتى تسحر ثم قرع سنة وتحسر: أجهد نفسه ولم يأت بمجديد/ ندم.
عنده من الثياب أضاير ومن الطعام أنابير: عنده الكثير، يملك شيئاً ولا يتفجع به.
طرقته في السنة الخصاصة فما رقعني بذنب البصاصة: تجاهلني، جئت وقت الحاجة
فلم يساعدني.

جئ به من حسك وبسك: بجهدك وطاقتك^(٣٩).

إن ما ذكر يمثل طائفة من التعبيرات دونها الزمخشري كما سمعها من قبل
المستحدثين وكما تستعمل دونها أي تخطئة لها، أو وصفها بأنها أساليب ليست
بفصيحة. لقد كان عمله هذا رائداً في إعطاء صورة حقيقية للغة في القرنين
الخامس والسادس الهجريين.

كما أن ما ذكرناه هنا من التعبيرات يمثل جزءاً بسيطاً مما هو موجود في المعجم
فهناك طائفة كبيرة من التعبيرات ومن الأمثال والأقوال والكنيات والمجازات
تستحق دراسة منفردة لما تحمله من دلالات ولما تتميز به تراكيبها من اختلاف.

التوسع في الاشتقاق:

للاشتقاق دور كبير في إثراء اللغة وإمدادها بالألفاظ ولقد أورد الزمخشري
كثيراً من الألفاظ المشتقة من أسماء الأعيان وهذا يدل على عقلية ترى أن الاشتقاق
يأتي من جميع ألفاظ اللغة سواء كان اسماً أو فعلاً أو حرفاً بلا تمييز أو شروط
ويلحظ أن غالبية ما جاء في أساس البلاغة من الاشتقاق أفعال.

أبوت فلاناً وأمنته: كنت له أباً وأماً.

برذن الجواد: صيره برذوناً.

سألته حاجة فبرذن عنها: أي ثقل.

بزر برمتك: ألق فيها الأبراز.

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| بصر: | ذهب إلى البصرة. |
| بعضوه تبعيضاً: | فرقوه ^(٤٠) . |
| أبعض القوم: | كثر في أرضهم البعوض. |
| بلط داره: | فرشها بصخر أو أجر. |
| تبوب فلان: | أخذ بواباً. |
| بوب المصنف كتابه وكتاب مبوب. | |
| تبصل الشيء: | إذا تضاعف قشر البصلة. |
| تمرني فلان: | أطعمني التمر. |
| تأأل جسده: | خرجت به التأليل. |
| تويل قدره: | ألقى فيها التوایل. |
| جوقت القوم: | جمعهم. |
| تجوق فلان: | جمع جوقاً من الناس. |
| كوف: | ذهب إلى الكوفة. |
| خرجوا يتكلمون: | يجنون الكمأة. |
| تكمانا في أرض بني فلان. | |
| أكتاز الماء: | إغترفه بالكوز ^(٤١) . |
| أمأت الدراهم: | وفت مائة. |
| ياومت الأخير مياومة: | اتفقت معه على الأجرة تعطي يومياً. |

التوسع في الاستشهاد:

دأب علماء المعاجم العربية على توثيق ما يفسرون من معاني الألفاظ بالاستشهاد بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف وأقوال العرب شعراً ونثراً. وقد حددوا منتصف القرن الثاني لمن يستشهد بأشعارهم.

أما بعد هذه الفترة الزمنية ، فمولدون لا ترقى أقوالهم أن تكون موضع استشهاد لكن الزمخشري لم يلتزم بهذا المنهج ، فقد ضم معجمه أشعاراً ، وأرجازاً وأقوالاً لمؤرخين. فقد استشهد بشعر كثير من المولدين ، يقول مبيناً رأيه بعد أن استشهد بشعر أبي تمام " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو عالم من علماء اللغة ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه"^{٤٢} ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوتوفهم بروايته وإتقانه" يقول د. محمد عيد " والزمخشري من علماء اللغة المتأخرين الذين عاشوا في القرن السادس، وحين ذكر هذه الفكرة ، ملخصة في هذه العبارة خالف ما كان عرفاً متوارثاً من قبل من أنه لا يحتج بكلام المولدين ولا المحدثين ، علماء ، أو غير علماء ، رواية أو غير رواية". ويقول وأنشدني سلامة بن عياش اليبعي بمكة يوم الصدر.

فبت مزرفاً قد انشبتني رسيمة ورد بينهم أحاحاً^{٤٣}

بل أن التعبيرات والأقوال والأمثال التي يزخر بها أساس البلاغة والتي لم ينسها إلى قائلها كما يقول^{٤٤} د. حسين نصار تمثل في رأينا اللغة التي كانت جارية على ألسنة الناس في عهد الزمخشري ولعل الألفاظ الآتية تؤكد ما نذهب إليه.

| | |
|-------------|----------------------|
| ياسطني: | يسرني |
| البرادة: | إناء يبرد فيه الماء. |
| تبوح البرق: | لمع وتكشف. |
| الطيالين: | جمع طاجن المقلاة. |

| | |
|----------------|---|
| القناحة: | خشبة يرفع بها الباب. |
| الكرينة: | المغنية. |
| الكران: | العود " آلة الطرب". |
| الليفة: | مصنوعة من الليف يحك بها الجسم عند الإغتسال. |
| يوح: | الشمس. |
| هو من المطوعة: | الذين يتطوعون بالجهاد. |
| طرز: | سخر. |

- إن الزمخشري بتوسيع قاعدة الاستشهاد ، وإشاراته وتدوينه لاستعمالات الفئات المتعددة ، خاصة وعامة ممثلة بما نأخذ من ألفاظ وتعبيرات ، وأسجاع وأرجاز ، وأمثال يمثل - في رأينا - ما ينبغي أن يتجه إليه المعجميون عند تصنيف المعاجم.
- فالمعجم كما يراه دوزي "معجماً يعرفنا بوضوح ودقة ، كلما طلبنا فيه المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله بمختلف الدلالات المستحدثة التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام"^(٤٥) . و خلاصة القول:
١. أن تصور الزمخشري للغة لا يمكن أن يقف بها عند زمن معين وإنما هي في سيرورة دائمة تتجدد معانيها بتحدد الاستعمالات واختلاف التراكيب.
 ٢. التأكيد على إبداعية ألفاظ اللغة وأنها لا تقف عند دلالة واحدة وإنما تتعدد الدلالات من خلال السياق والاستعمال فهما اللذان يحددان معاني الألفاظ.
 ٣. المادة اللفغوية والتعبيرات التي جاءت في معجم أساس البلاغة تصوران بوضوح حال اللغة العربية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.
 ٤. لقد رسم الزمخشري صورة لما ينبغي أن يكون عليه المعجم وذلك بأن تكون مواده مأخوذة من مختلف فئات المجتمع.

٥. لا تدعي هذه الدراسة أنها أحاطت بكل دقائق ما في أساس البلاغة ولكن حسبها أنها حاولت إبراز رؤية الزمخشري اللغوية.

الحواشي والتعليقات

١. الصحاح ومدارس المعجمات العربية ص ١١٢ ، ١٢٩.
٢. تفسير البحر المحيط ، الجزء الثامن ، أبو حيان ص ٣٦١.
٣. أساس البلاغة ص ٣٦.
٤. المخصص لابن سيده دراسة - دليل ص ٣٢.
٥. المعجم الوسيط ج ١ ص ٥.
٦. مقدمة العلامة ابن خلدون ص ٥٤٨.
٧. كتاب العين ص ٤٧.
٨. جمهرة اللغة الجزء الأول ص ٣٤٤.
٩. الصحاح المجلد الأول ص ٣٣.
١٠. اللسان المجلد الأول ص ٣ ، ٤.
١١. أنظر كتاب التبيين والإيضاح عما وقع في الصحاح.
١٢. مناهج علمائنا في بناء المعرفة ص ١٨٦ محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية ١٤٢٠هـ.
١٣. جمهرة اللغة الجزء الأول ص ١٥.
١٤. جمهرة اللغة الجزء الثالث ص ٥١.
١٥. تهذيب اللغة الجزء ١٤ ص ٣٧.
١٦. علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٩٥ ، ١٩٦.
١٧. المزهري في علوم اللغة وأنواعها عبد الرحمن السيوطي الجزء الأول ص ٢١٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٣٤ ، ٣٠٤.
١٨. أساس البلاغة ص ٨.
١٩. أساس البلاغة ص ٧.
٢٠. أساس البلاغة ص ٨.
٢١. أساس البلاغة ص ٣٦ ، ٣٦٨ ، ٤٢٢.
٢٢. أساس البلاغة ص ٢٦٧ ، ٤٨٤.

٢٣. منهج الرمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصاوي الجويني
ص ٥٦ ، ٥٧ .
٢٤. الكشاف ج ٢ ص ٥٧٩ .
٢٥. الكشاف ج ٤ ص ١٩٢ .
٢٦. أساس البلاغة ص ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧ ، ٤٤١ .
٢٧. أساس البلاغة ص ١٧/٦٥ ، ٦٦ ، ١٦٥ ، ٢١٩ ، ٤١٣ ، ٤٣١ .
٢٨. أساس البلاغة ص ٢٧٥ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٥ .
٢٩. أنظر N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax p. ٣٠. الكهف ، آية ٤٢ .
٣١. الأنعام ، آية ٩٢ ، آل عمران ، آية ٦ .
٣٢. أساس البلاغة ص ١٠ ، ٣٧ وجاء أبو الحرب مهيجهما ، أبو
عديهما لفتضها. أنظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٧ للراغب
الأصفهاني .
٣٣. أساس البلاغة ص ٢١ ، ١١١ .
٣٤. أساس البلاغة ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٨ ، ٢٣٦ ، ٢٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ .
٣٥. أساس البلاغة ص ٥٢ ، ٥٣ .
٣٦. علم الدلالة ص ٣٣ د. احمد مختار عمر .
٣٧. المعجم العربي نشأته وتطوره ص ٧٠٥ د. حسين نصار .
٣٨. أساس البلاغة ص ٣٦ .
٣٩. أساس البلاغة ص ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٠٩ .
٤٠. أساس البلاغة ص ١٤ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٢٦٧ ،
٥٩٧ ، ٦١٤ .
٤١. أساس البلاغة ص ١٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ .
٤٢. أساس البلاغة ص ٤١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١٠٥ ، ١٥٥ ، ٥٥٣ ،
٥٨٠ .

المصادر والمراجع:

العربية:

- أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت 1385 هـ - 1965 م.
- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ، 1964 م - 1967 م.
- جمهرة اللغة ، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق كرنكو حيدر آباد الدكن الهند ، 1344 هـ.
- دراسات في العجم العربي ، إبراهيم بن مراد ، بيروت 1978 م.
- الرواية والإستشهاد باللغة ، د. محمد عيد ، القاهرة 1976 م.
- الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية ، غسما عيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، 1376 هـ - 1956 م.
- الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، 1386 هـ - 1967 م.
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، القاهرة ، 1988 م.
- علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، الطبعة السابعة.
- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح ، أبي محمد عبد الله بن بيري المصري تحقيق مصطفى حجازي ، القاهرة 1980 م.
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم ، السامرائي بغداد 1400 هـ - 1980 م.

- الكشاف ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور ، طبعة بولاق .
- المخصص ، لابن سيده ، دراسة - دليل محمد الطالبي ، تونس 1956م .
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
- المستقصى في أمثال العرب ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت 1397هـ - 1977م .
- المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار ، القاهرة ، 1956م .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المكتبة العلمية ، طهران .
- مفردات الفاظ القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، بيروت .
- مقدمة الصحاح ، أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة 1376هـ - 1956م .
- مقدمة العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، المكتبة التجارية ، القاهرة .
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصادق الجويني ، دار المعارف ، مصر .

الدوريات:

- محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية 1420هـ .

المراجع الأجنبية:

- N. Chomsky, Aspect of the Theory of Syntax. Cambridge.
- J. Lyons. Shomsky. Fontana Collins.